المقتطف

الجزء الثاني عشر من السنة العاشرة

ايلول (سبتمبر) ١٨٨٦ = الموافق ٢ ذي الحجة ١٣٠٣

جولان النائم

هو عَرَضٌ يصيب بعض الناس فيظهر فيهم على اتحاد شتّى اشهرها انهم يقومون من فرشهم ويجولون من مكان الى آخر وهم نيام ثم اذا استيقظوا ظهر انهم غير شاعرين بشيء مما جرى لهم

لا يخلى ان النائم قد يحلم احلامًا كثيرة لا تؤثّر في وجدانهِ فاذا استيقظ لم يذكر شيئًا منها والغالب انهُ يسكن عن الحركة مهما كان حلمهُ مزعجًا ولا يظهر على وجههِ الّا اثر خفيف من الانبساط او الانقباض . ولكنّ ذلك غير مطّرد لانهُ قد تدعوهُ افكارهُ الى تحريك يديهِ واطرافهِ وعمل بعض الاعمال التي تقتضي نظرًا وروية كما لو كان مستيقظًا كلّ ذلك وهو نائم لا يعي شيئًا . وهذه هي حالة السُّنْمبوليزم او جولان النائم . وقد أُطلق عليها اسم الجولان من باب تسمية الكل باسم البعض لان المصاب بها قد لا يجول في نومهِ ولا ينوم من فراشهِ بل يقتصر على التكلم بكلام مفهوم او غير مفهوم وقد لا يتخطّى كلامهُ بعض الالفاظ او الاصوات المتقطعة حينما تدعوهُ افكارهُ الى رفع صوتهِ

ومهما كانت درجاتُ هذا العَرَض فهو مثل الحلم يزول فيهِ تسلُّط الارادة على الافكار ويخضع الوجدان للفكر الذي يملكهُ . ويفرق عن الحلم في ان المصاب بهِ يقدر على تحريك اعضائهِ لاتمام ما يلوح ببالهِ مع انتباه بعض حواسهِ وعدم انتباه البعض الآخر . بل ان بعض حواسهِ ولا سيما حاسّة اللمس ينتبه انتباهًا شديدًا سواء كان هذا العَرَض طبيعيًا او صناعيًا (١) .

(١) يراد بالصناعي العَرَض المسمى بالمنوتزم او التنويل الذي يعتري بعض الناس اذا احدقوا بصرهم برعة

وقد يحصر انشاء النائم في افكاره فلا يشعر من الامور الخارجة عنهُ الاَّ بما يلابس افكارهُ . وقد يعمل اعمالاً محكمة بمقدمات ونتائج يتعلق بعضها ببعض ما يميز هذه الحالة عن حالة النوم العادية تمييزًا تامًّا . فالرجل المتعلق على العلوم الرياضية قد يتمكَّن وهو في هذه الحالة من حل اعوص المسائل والخطيب من تأليف انفس الخطب والواعظ من انشاء ابلغ المواعظ والمغني من توقيع اشجى الالحان والشاعر من نظم ابلغ القصائد وحلِّ اجرًا ما يطول شرحهُ . وقد يعمل الانسان وهو نائم ما يعجز عنهُ مستيقظًا كما يظهر من الحادثتين التاليتين :

الاولى ان فقيهًا استُشير في دعوى كثيرة الاشكال عسرة الحل فنظر فيها اياماً ولم يهتدِ الى وجهها . وفي ذات ليلة قام من فراشهِ وكتب كتابة طويلة وابقى القرطاس على المكتبة وعاد الى فراشهِ . ورأت امرأتهُ منهُ ذلك ولم يرِبها امرهُ لانها ظنتهُ مستيقظًا . ثم انهُ قال لها في الصباح انهُ حلم بهذه الدعوى وخطب فيها ودو في الحلم خطتهُ حلَّت مشكلاتها . وودَّ لو امكنهُ ان يتذكَّر الادلَّة التي لاحت ببالهِ وهو نائم فاودعها الخطبة . فاخذتهُ امرأتهُ بيدهِ وارتهُ الورقة التي كتبها وهو نائم فاذا بها عين الخطبة التي حلم انهُ خطبها فكانت فاصلةً للدعوى

الثانية وهي مرويَّةٌ عن احد خدَمة الدين . قال لي كنت اقرأ العلوم الرياضية على الاستاذ فن سوبدن في امستردام (قصبة هولندا) اتاهُ احد الصيارفة بمسئلة رياضية عويصة وكان ذلك الاستاذ قد حاول حلها مرارًا كثيرة وايجاد قانون مختصر لها وكان يملأ الصفحات الكثيرة بالارقام كل مرة فيخطئ في رقم او اكثر قبل ان يصل الى النتيجة . فالقى المسئلة حينئذٍ على عشرة من التلامذة وعليَّ من الجملة وضرب لنا اجلاً لنأتيهُ فيهِ بجوابها . فذهبتُ من ساعتي واشتغلت فيها المساء كلهُ فلم انل منها ارَبًا . ثم اشتغلت فيها المساء التالي كلهُ ولم يفتح عليَّ بحلها . فعدتُ اليها في الليلة الثالثة وهي الاخيرة من الاجَل واقمت عليها الى ما بعد نصف الليل بساعةٍ ونصف

الى جسم لامع قريب من عينهم . وقد ذكر الدكتور كربنتر الذي اعتمدنا عليهِ في ما تقدَّم انهُ رأى اشخاصًا عرض لهم المنوترم فكانوا يكتبون على القرطاس كتابة واضحة مستقيمة السطور مستوية بين عيونهم والقرطاس حاجز غير شفاف ورأى اناسًا حلَّ عليهم جبرية وكتب حلها متصلاً وهو لا يرى القرطاس الذي كتبهُ عليهِ . وذكر الدكتور بريد المشهور في هذه المباحث ان فتاةً كانت تكتب صفحة كاملة وهي مغمضة العينين في حالة المنوترم ثم تعود وتصلح اغلاطها من اولها الى آخرها وترسم الاصلاح في محلهِ ولكن اذا أزيحت الورقة من مكانها كانت ترسم الاصلاح حيث كان موقع الاغلاط قبل ان أزيحت الورقة . ونسب الدكتور كربنتر استطاعة هولاء على كتابة الاسطر والارقام واصلاح الاغلاط بالضبط التام الى النعل المنعكس الذي يستطيع به الكاتب ان يلتقط الكلمات التي كتبها ويضع النقط في محلها بدون اعمال النظر . ويستطيع به العازف ان ينقل اصابعهُ على الاوتار ويضعها في المكان المطلوب تمامًا بدون ان يراها . وقد شرحنا ذلك بالتفصيل في المجلد الرابع في الكلام على وظائف الدماغ

وملأتُ ست صفحات بالارقام ولم اصل الى النتيجة . فطرحت القلم من يدي وتردّدت بين ان احيي الليل كلهُ في حلها او اتركها الى نام وحينئذٍ ضعف ضوء المصباح واوشك ان ينطفئ ولم يكن احد مستيقظًا في البيت ليصلح لي فطرحت نفسي على الفراش وعقلي غائص في بحارٍ من الاعداد والارقام . واستيقظت في الصباح متزعج الخاطر كاسف البال لانهُ انقضى الاجل ولم انل من المسئلة اربًا وحينئذٍ جاءت مني الفتاة الى المكتبة فوجدت عليها ورقة مغطاة بالارقام الصغيرة المحشوكة حشكًا وهي بخط يدي فنظرت فيها واذا بها المسئلة محلولة حلًّا صحيحًا في غايةٍ من الاحكام والاختصار حتى ان ما ملأتُ بهِ ست صفحات في الليلة الماضية كان مفصّلاً في صفحة واحدة وانا على يقين انهُ لم يدخل غرفتي احدٌ . وعليهِ فقد قمت وانا نائم وحللت المسألة وكتبتها كتابة دقيقة واضحة في حالك الظلام ولمّا اطّلع استاذي عليها اكّد لي انهُ لم يخطر على بالهِ حلٌّ مختصر مثل حلها

ويظهر من حادثتين ان بعض قوى العقل يكون منتبهًا في هذه الحالة اشد الانتباه وبعضها يكون غير منتبه على الاطلاق وان الوجدان يكون معدومًا او ضعيفًا الى الغاية القصوى. فان صاحب الحادثة الاولى انتبه الى انهُ التي خطبة في حل الدعوى ولكنهُ لم ينتبه الى شيء غير ذلك وكأن قلبهُ طاوع قوة الاستدلال مطاوعة آليّة محضة على حين كانت اكثر قوى النفس نائمة . والثاني لم ينتبه الى شيء والاّ فلو انتبه الى الظلمة على الاقل لعدل عن الكتابة

ولا يخفى ان الحس ينقد في هذه الحالة كما ينقد في النوم العادي اي ان الانسان لا يحسّ الاّ بما لهُ علاقة تامّة بافكارهِ فلا يرى كما يرى المستيقظ ولا يسمع ولا يشمّ ولا يذوق ولا يشعر اذا وخزتهُ او قرصتهُ ولكن اذا عرض لهُ شيء متعلق بموضوع فكرهِ فقد يشعر بهِ وينتبه اليهِ كما يظهر من الحادثتين التاليتين

الاولى اننا ايام كنا نطلب العلم في المدرسة الكلية كان معنا شابٌّ مصاب بهذا العَرَض فكان يجلس في سريرهِ ليلاً ويحاول نتيجة بعض الكلمات الفرنسوية او الانكليزية فاذا اخطأ وقلنا لهُ اخطأتَ يعيد النتيجة ويصلحها ثم اذا استيقظ في الصباح لم يتذكر شيئًا ما حدث لهُ

الثانية ان فتاة كانت تقوم من فراشها ليلاً بعد ان تنام ساعةً او ساعتين وتمشي وهي نائمة وتتكلم عمّا جرى لها في يومها وتجيب مسائل من يسألها اذا كانت مسائله متعلقة بالموضوع الذي تتكلم فيهِ . ولكنّ السائل الماهر كان يقدر ان يجرّها من موضوع الى آخر رويدًا رويدًا ويستكشف اسرارها واسرار غيرها اذا كانت عالمةً بها . ولكنها كانت تتردّد في افشاء اسرار غيرها كأنها لا تريد افشاءها وهي مع ذلك لا تسمع شيئًا من الاصوات الاّ ما هو متعلقٌ بالموضوع الذي تخاطب فيهِ . وكانت تستيقظ بالصوت الشديد ولكنها لا تشعر بهِ

ومن خواص هذا المرض ان المصاب به لا يتذكر شيئاً من الافكار التي تتوارد على ذهنه حين حدوث النوبة ولا من الافعال التي يفعلها حينئذٍ الاَّ نادراً. واذا تذكر شيئاً من ذلك تذكرهُ كحلم عبر ولكن اذا اصابتهُ نوبة ثانية تذكر فيها النوبة الاولى وكلّ ملابساتها ولو كان الزمان بين النوبتين اياماً بل اشهراً كما يظهر من الحادثتين التاليتين

الاولى ان فتاة خادمة اضاعت شيئاً من امتعتها فتشت عنهُ جيداً ولما لم تجدهُ انتهرت بهِ خادمةً أخرى . وبعد ايام استيقظت في الصباح والشيء المفقود في يدها . والظاهر انهُ اصابتها نوبة قبلاً فاختفهُ وهي نائمة ثم اصابتها نوبة أخرى منذ الليلة فتذكرتهُ فيها وجابتهُ من مكانهِ . وقد حدث شيء مثل ذلك لرجل نعرفهُ فلم نجد لهُ حلاً غير ما ذكر

الثانية ان فتاة عصبية المزاج اصابها مرض طويل وتوعّب هستيرية وكانت اذا اصابتها نوبة الهستيريا يعتريها عارضٌ كالحمى ملازم . وكان قد مات لها اخ وحيد تحبهُ حبًّا شديداً وتخدمهُ وهو مريض فصارت اذا اصابتها النوبة لا تنفكُّ عن ذكر اسمهِ والتكلم عنهُ وعن احوال حياتهِ ولم تكن تسمع شيئاً مما تُخاطَب بهِ الاَّ اذا كان لهُ علاقة باخيها هذا . واصابتها النوبة ذات مرة فرأت صهرها فحسبتهُ اخاها المتوفّى وزعمت انهُ نزل من السماء لزيارتها فجعلت تكلمهُ في هذا الموضوع كلاماً صحيحاً مرتباً على مقدمات ونتائج وطلبت منهُ ان يصلي معها الصلاة الربانية (٢) فلما وصل الى قولهِ "واغفر لنا ذنوبنا" اعترضتهُ قائلة انتَ في غنًى عن هذه الطلبة لان ذنوبك قد غُفِرَت . وكانت عيناها مفتوحتين وأكبها لم ترَ اخاها غير صهرها . وكانت اختها قائمة امامها فلم ترها . واختها هذه لم تكن في البيت لما مرض اخوها ومات فكأنها لم تتذكر شيئاً مما لا علاقة لهُ بمرضهِ الاخير وموتهِ

وفي نوبة اخرى كانت اختها واقفة امامها وفي عنقها ذخيرة فيها شيء من شعر اخيها الميت فلما وقع نظرها على الذخيرة قبضت عليها واخذتها منها بالقوة وجعلت تخاطب الذخيرة بكلام محزن يلين لهُ الجماد حتى عزم الحاضرون ان ياخذوها منها شفقةً عليها لشدة ما اصابها من الحزن عند رؤيتها فلم يستطيعوا لانها لم تسلمها لهم لا طوعًا ولا جبرًا . وبعد قليل استولى عليها النعاس الطبيعي فوضعتها تحت وسادتها ونامت . ولما استيقظت في الصباح لم تتذكر شيئاً مما جرى لها ولكن بقي فيها شيء من الانفعال لانها التفتت الى اختها وقالت انني صرت انتر من الخادم فلان ولا اعلم سبباً لذلك . وهذا الخادم هو الذي حاول اخذ الذخيرة منها بالقوة . ثم نسيت ذلك بعد يوم او يومين

(٢) صلاة يصليها المسيحيون عمومًا

وبعد ايام عاودتها النوبة فجلست في سريرها وجعلت تفتش عن الذخيرة التي خبأتها تحت الوسادة في النوبة الماضية ولما لم تجدها الا انهم نزعوها من تحتها في الغيرة لئلاَّ تهيج عواطفها عند رؤيتها) قالت لا بدَّ من وجودها هنا لانني وضعتها بيدي منذ بضع دقائق ثم حضر الخادم المذكور آنفًا فنفرت منهُ واظهرت الغيظ الشديد حتى اضطرَّ ان يخرج من امامها وحينئذٍ هدأ روعها ونامت نومًا طبيعيًّا. وتردَّدت عليها النوَب بعد ذلك مرارًا وكانت كل مرة تغضب من رؤية الخادم المذكور ولا يهدأ روعها حتى تُصرَف افكارها عنهُ الى موضوع آخر بواسطة مكالمتها وجرِّها في الحديث من موضوع الى موضوع او باستخدام وسائط اخرى تشغل حاسَّة اخرى من حواسها

ويُستغرَب في هذه النقاة انحصار افكارها ووجدانها في اختها ومَلابسها وانقطاعها عن كل ما سواهُ ولاسيَّما تذكرها للذخيرة بدون انتباهها الى اختها العاملة لها. وكأنَّ السبب في ذلك إما عدم حضور اختها وقت مرض اختها وموتها او انها اتَّصلت الى معرفة الذخيرة بحاسَّة الشم لا بحاسَّة النظر. وتنبَّه حاسة الشم دون باقي الحواس مشاهد كثيرًا في هذه الحالة[٢]. ويستغرَب فيها ايضًا اتصال سلسلة الافكار من نوبة الى اخرى اتصالاً واضحًا وبناء الانزعاج في النوبات التي بينها بدون ان تعرف سببهُ. وهذا من الامور المشاهدة في الاصحاء ايضًا لانهُ كثيرًا ما يقوم الانسان من نومهِ منزعجًا انزعاجًا لا يعلم سببهُ والارجح ان سبب ذلك انهُ حَلِم حلمًا منزعجًا ثم نسي الحلم وبقي تأثيرهُ في نفسهِ

وهنالك حالة أُخرى من حالات الجولان في النوم يمكن فيها ان توجَّه افكار النائم من جهة الى أُخرى بحسب التأثيرات الخارجية. ذكر الدكتور أ برَكرمبي ان جنديًّا كان مصابًا بذلك العرَض وكان رفاقهُ يعلمون منهُ ذلك ويجعلونهُ يفعل افعالاً مضحكة حسبما يشاؤون. فجعلوهُ مرةً يعتقد انهُ تخاصم مع واحد منهم وانتهى بهما الامر الى المبارزة ووضعوا طبنجة في يدهِ فاطلقها واستيقظ على صوتها. وفي مرة أُخرى جعلوهُ يعتقد ان السفينة التي كان فيها قد غرقت فجعل

(٢) ذكر الدكتور كربنتر انهُ وضع كف جلد في يد فتىً في حالة الهبنوتزم ولم يكن الفتى يعرف لمن الكف فشمهُ ثم عرف صاحبهُ بحاسة الشم وان انسانًا آخر منوَّمًا التوم المغنطيسي أعطى خاتمًا كان في يد واحد من اثني عشر شخصًا فعرف صاحبهُ بمجرَّد الشم. والغالب ان يكون هذا التنبه الشديد في حاسة اللمس فان كثيرين من الذين يجولون وهم نيام قد شوهدوا يتسوَّرون الجدران الشاهقة ويمشون على الجسور الضيقة ويفعلون افعالاً أُخرى لا يجسرون عليها وهم مستيقظون وما ذلك الاَّ لان حاسة اللمس تكون فيهم شديدة جدًّا فاذا فقدت موازنتهم اقل الشيء شعروا بهِ حالاً وبازنوا انفسهم والمستيقظ يفعل مثل ذلك ودليلهُ على الارض المبسطة ولكنهُ اذا مشى على جدار مرتفع او على شيء ضيق انصرفت افكارهُ من تحكيم مشيهِ الى الخوف من خطر السقوط فلا يستطيع تحكيم خطواتهِ

يحرّك يده ورجليه كمن يسبح في الماء ثم قالوا له ان كثيرًا من كلاب البحر مقبل نحوهُ لافتراسهِ فاجهد نفسهُ في السباحة وكان نائمًا على ظهر الغمرة فسقط عن ظهرها وترضّض . وفي مرةٍ اخرى وجدهُ رفاقهُ نائمًا في خيمة وعليهِ هيئة الانزعاج من سماع اصوات المدافع فجعلوهُ يعتقد انهُ في موقعة من مواقع الحرب والقتلى تسقط حولهُ وكانوا يتقلدون اصوات الجرحى ثم اخبروهُ ان الرجل الذي بجانبهِ سقط قتيلاً فبلغ الاضطراب منهُ كل مبلغ حتى انهُ قام من فراشهِ وركض هاربًا فعثر بحبال الخيمة وسقط على وجههِ وحينئذٍ استيقظ من نومهِ

هذا وحوادث الجولان في النوم كثيرة متنوعة وهي على درجات مختلفة من الشدة ومرجعها كلها الى ان السمنبولزم او الجولان في النوم هو نوع من الحلم تشتدُّ فيهِ قوة الوهم او العواطف حتى انها تحرك اعضاء الجسد حركات موافقة لها . وقد تقتصر هذه الحركات على النطق ببعض الاصوات وقد تتناول المشي وعمل بعض الاعمال المحكمة اشد الاحكام وبين هذين الطرفين درجات كثيرة ولا بدَّ فيها كلها من ضعف سلطة الارادة على الافكار وتوقف فعل الوجدان وقتًا وقتيًا

تولُّد اللغات ونموّها

النبذة الرابعة . في التغيير والزيادة والنقصان

بيّنا في الجزء العاشر ان اللغات الحيّة لا تلبث على حالة واحدة بل تتغير على الدوام شأن كل الاجسام الحيّة وان هذا التغير لا ينتصر على الالفاظ بل يتناول معانيها ايضًا . ويظهر لدى امعان النظر ان تغير اللفظ والمعنى غير متلازمين لانهُ قد يتغير لفظ الكلمة ويبقى معناها على حالهِ كما في آسى وواسى وكما في كثير من الكلمات التي حرّف العامّة لفظها وابقوا معناها على حالهِ مثل القنّيط والقنطين المقول فيها قرنبيط وقنطين . وقد يتغير معناها ويبقى لفظها على حالهِ مثل كلمة جواب فانهُ يراد بها الآن في بر مصر المحرر او المكتوب . وقد يتغير لفظها ومعناها معًا مثل قلنسوة فان العامة تقول فيها الآن فلوسة وتحصرها في ما يلبسهُ الكهنة وبعض المشائخ . وكلُّ ذلك دليل على انهُ لا علاقة لازمة بين اللفظ والمعنى

اما الداعي الى هذا التغير فهو السهولة والاقتصاد فانهُ لو سهل على كل الناس ان يطلقوا بكل كلمة او ان يغيروا لفظ الكلمة او يبدلوها بكلمة اخرى كلما تغير مدلولها ولو قليلاً او لو سهل عليهم انهُ كلما بدا لهم معنًى جديد يضعون لهُ كلمة جديدة كما يسهل عليهم ان يطلقوا عليهِ كلمة قديمة